

مِرْقَاةُ الْمَفَاتِيحِ

لِلْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ سُلْطَانِ مُحَمَّدٍ الْقَارِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١١١٢ هـ

شرح مشكاة المصابيح

لِلإِمَامِ الْعَلَّامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَطِيبِ الْتَبْرِيْزِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧٤١ هـ

تَحْقِيقُ
الشَّيْخِ جَمَالِ عَيْتَانِي

تَنْبِيْهُ:
وَضَعْنَا مَتْنَ الْمَشْكَاةِ فِي أَعْلَى الصَّفْحَاءِ، وَوَضَعْنَا أَسْفَلَ مِنْهَا صُورَ «مِرْقَاةِ
الْمَفَاتِيحِ» وَالْحَقْنَا فِي آخِرِ الْمَجْلَدِ الْخَادِي عَشَرَ كِتَابَ «الدِّكَالِ فِي أَسْمَاءِ الرِّجَالِ»
وَهُوَ تَرْجُمَةُ رِجَالِ الْمَشْكَاةِ لِلْعَلَّامِ الْتَبْرِيْزِيِّ

الجزء الخامس

يَحْتَوِي عَلَى الْكُتُبِ التَّالِيَةِ
فَضَائِلِ الْقُرْآنِ - الدَّعَوَاتُ - النَّاسِكُ

منشورات

مركز أبي بيهن

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



جميع الحقوق محفوظة

Copyright ©
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية في بيروت - لبنان
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة
تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على
أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو
برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة
الناشر خطياً.

Exclusive Rights by

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Droits Exclusifs à

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٣٧٨٥٤٢ (٩٦١ ١)
صندوق بريد : ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beirut - Lebanon

Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Melkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1ère Étage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

وفي رواية: «فَلْيَنْفُضْهُ بِصَنْفَةِ ثَوْبِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَإِنْ أَمْسَكَتْ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا».

٢٣٨٥. (٥) وعن البراء بن عازب، قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَامَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً»

أي بطرفه وقال الطيبي [رحمه الله] أي بحاشية إزاره التي تلي الجسد فكأنه أراد الجمع بين الروايتين وإلا ففي مختصر النهاية صنفه إزاره بكسر النون طرفه مما يلي طرته قلت زاد الفارسي وقيل جانبه الذي لا هذب له. اهـ. وفي القاموس صنفه الثوب كفرحة [وصنفه] وصنفته بكسرهما حاشيته أي جانب كان أو جانبه الذي لا هذب له أو الذي فيه الهدب. اهـ. وفي المشارق فلينفضه بصنفه ثوبه بفتح الصاد وكسر النون فليل طرفه وقيل حاشيته وقيل هي الناحية التي عليها الهدب وقيل الطرة والمراد هنا طرفه فما ذكره ابن حجر بفتح المهملة والنون والفاء مخالف لما في كتب اللغة والرواية (ثلاث مرات) مبالغة في النظافة (وإن أمسكت نفسي فاغفر لها) أي بدل قوله فارحمها.

٢٣٨٥. (و) عن البراء بن عازب قال كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقه بكسر الشين أي جانبه (الأيمن ثم قال اللهم أسلمت) أي أخلصت (نفسي) بسكون الياء وفتحها أي ذاتي (إليك) أي مائلة إلى حكمك (ووجهت وجهي) أي وجهتي وتوجهي وقصد قلبي (إليك) وجعلت وجهي إلى قبلتك وقيل النفس والوجه هنا بمعنى الذات يعني جعلت ذاتي طائعة لحكمك ومتقادة لك وقول الطيبي إن أسلمت إشارة إلى أن جوارحه متقادة لله تعالى في أوامره ونواهيه مستقيم غاية الاستقامة وأما اعتراض ابن حجر بأن المقام مقام نوم وهو لا تكليف فيه مدفوع بأن الطيبي رحمه الله لا يريد حين تحقق النوم كما لا يخفى على أحد بل مراده أما قبل النوم مطلقاً أو حين إرادة النوم وفيه إشارة لطيفة إلى أن الشخص ينبغي أن يتوب إلى الله تعالى ذلك الوقت لينام مطيعاً ويؤيد ما ذكرنا قول الطيبي في قوله عليه الصلاة والسلام (وفوضت أمري إليك) فيه إشارة إلى أن أموره الخارجة والداخلية مفوضة إليه لا مدبر لها غيره. اهـ. والمعنى توكلت في أمري كله عليك (وألجأت) أي أسندت (ظهوري إليك) أي إلى حفظك لما علمت أنه لا سند يتقوى به سواك ولا ينفع أحد إلا حماك قال الطيبي رحمه الله فيه إشارة إلى أنه بعد تفويض أموره التي هو مفتقر إليها وبها معاشه وعليها مدار أمره ملتجئ إليه بما يضره ويؤذيه من الأسباب الداخلة والخارجة (رغبة ورهبة) قيل مفعول لهما لا لجأت وقال الطيبي رحمه الله منصوبان على العلة بطريق اللف والنشر أي فوضت أموري طمعاً في ثوابك وألجأت ظهري من المكافأة إليك مخافة من عذابك. اهـ. وهو معنى صحيح بل صنعة بديع

حديث رقم ٢٣٨٥: أخرجه البخاري في صحيحه ٤٦٢/١٣. حديث رقم ٧٤٨٨. ومسلم في صحيحه ٤/

٢٠٨١ حديث رقم (٥٦. ٢٧١٠). والترمذي في السنن ١٣٥/٥ حديث رقم ٢٣٤٥٤. وابن ماجه

٢/١٢٧٥ حديث رقم ٣٨٧٦. والدارمي ٣٧٦/٢ حديث رقم ٢٦٨٣. وأحمد في المسند ٤/٢٨٥.

إِلَيْكَ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ». وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ هُنَّ ثُمَّ مَاتَ تَحْتَ لَيْلَتِهِ

وأبدع ابن حجر بالتعرض عليه بأن هذا تحكم والوجه بل الصواب ما ذكرته من أن كل ما ذكر معلل بالرغبة والرغبة. اهـ. والأظهر أن نصبهما على الحالية أي راغباً وراغباً أو الظرفية أي في حال الطمع والخوف يتنازع فيهما الأفعال المتقدمة كلها وقوله (إليك) أما متعلق برغبة وهي السعة في الإرادة ومتعلق رهبة محذوف أي منك وهي المخافة مع التحرز والاضطراب وأما بمحذوف تقديره متوجهاً بهما إليك قال العلامة الكرمانى أي طمعاً في ثوابك وخوفاً من عقابك وإليك متعلق برغبة كقولهم:

* علفتها تبناً وماءً بارداً *

اهـ. وما يبعد أن يتنازعا في إليك أي رغبتى إليك وهو ظاهر ورهبتى إليك بمعنى أنى حالة الخوف لا أرجع إلا إليك فإنه (لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك) ملجأ مهموز ومنجى مقصور وقد يهمز منجاً للزدواج وقد يعكس أيضاً لذلك والمعنى لا مهرب ولا ملاذ ولا مخلص من عقوبتك إلا إلى رحمتك وهذا معنى ما ورد أعوذ بك منك وقال الكرمانى لا منجى مقصور وإعرابه كإعراب عصا فإن قلت فهو يقرأ بالتنوين أو بغيره قلت في هذا التركيب خمسة أوجه لأنه مثل لا حول ولا قوة لا بالله والفرق بين نصبه وفتح بالتنوين وعدمه وعند التنوين تسقط الألق قال ولا ملجأ ولا منجى إن كانا مصدرين يتنازعان في منك وإن كانا مكانين فلا إذ اسم المكان لا يعمل وتقديره لا ملجأ منك إلى أحد إلا إليك ولا منجى إلا إليك (آمَنْت) استئناف فيه معنى التعليل تعليل (بكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ) أي عليّ وهو القرآن الكريم الحاث على التخلق بهذه الأخلاق البهية وسائر المقامات العلية والحالات السنية ولذا قال الطيبي آمَنْت بِكِتَابِكَ تخصيص بعد تعميم ولما غفل ابن حجر عن المعنى العام اعترض على الطيبي بقوله لا تعميم فيما ذكره لأن الفعل في حيز الإثبات لا عموم فيه كالنكرة التي هي كذلك فتأمل يظهر لك وجه الخلل (ونبيك الذي أرسلت) وفي نسخة بنبيك وإنما آمن بنفسه لأنه كان رسولاً حقاً فكان يجب عليه أن يصدق الله في ذلك وهو تعليم لأئمة ولهذا كان يقول وأشهد أنى رسول الله ولما تضمن الإيمان به ﷺ العلوم الخاصة المتعلقة بالأحاديث النبوية قال الطيبي تخصيص من التخصيص وأغرب ابن حجر بالاعتراض عليه لأنه لا يلائم ما قرره من الوجه الأوضح عنده وقال كما يعلم من تأمل ما قاله وما قلته قلت لو تأمل ما احتاج إلى الأمر بالتأمل فتأمل وعلى الله فتوكل (وقال رسول الله ﷺ من قالهن) أي الكلمات المذكورة (ثم مات تحت ليلته) أي تحت حادثة فيها ومن أعجب العجائب أن ابن حجر قال أي عقب طلوع فجرها وهو مع مخالفته نص الحديث الآتي فإن مات من ليلتك أو في ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبت خيراً اعترض على الطيبي في قوله ومعنى تحت ليلته أنه لم يتجاوز عنه إلى النهار لأن الليل يسلم منه النهار فهو تحته أو يكون بمعنى إن مات تحت نازلة عليك من ليلتك أي من أجل ما يحدث من ليلتك بقوله وفي جميعه نظر وكون الليل يسلم منه النهار لا يؤيد ما ذكره أولاً في معنى التحت كما هو واضح أو يكون الخ في غاية البعد والتكلف والأحسن عندي أن سبب التعبير

مات على الفطرة».

وفي رواية قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: «يا فلان! إذا أويت إلى فراشك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت نفسي إليك، إلى قوله: أرسلت». وقال:

بالتحت أن الله جعل الليل لباساً فالناس مغمورون ومستورون تحته كالمستور تحت ثيابه ولباسه وهذا معنى واضح جداً فالعدول إلى ما ذكره الشارح من الأمرين السابقين عدول عن الجوهر إلى الصدف قلت هذا المعنى هو بعينه المعنى الذي ذكره الطيبي أولاً وهو معنى يسلم منه النهار فالجلد هو المشبه باللباس فمؤدي معنى الآيتين واحد مع أن كلام ابن حجر آخر يناقض تفسيره أولاً وكان سبب الاعتراضات عجبه وغروره بالفقهيات وجهله بدقائق الصناعات البديعية وعدم فهمه بحقائق الاعتبارات العربية ثم مع هذا كله قال في حق الطيبي وكان سبب وقوعه فيما علمت من المواضع التي رددتها عليه قوله أول شرح هذا الحديث أن فيه غرائب وعجائب لا يعرفها إلا الثقات من أهل البيان فكان ذلك وقع منه تبجحاً فلم يصب الجادة الواضحة في أكثر شرحه كما يعلم بتأمل ما ذكره وما ذكرته. اهـ. ويتأمل كلاميهما ظهر تفاوت ما بينهما كما بين السماء والأرض حيث ما بلغ فهم المتعقب وهم عقبة من تحقيق أربه وتدقيق أدبه لولا شرحه شرح الله صدره وفتح قبره لما فهم أحد من بعده ما قبله والفضل للمتقدم والأجر الكامل له وما وقع منه كان تحدثاً لا تصحيحاً وعلامة صدقه ما قدره الله ممن زين كلامه وبين مرامه راجياً أن يكون داخلاً في سلك من قال ﷺ في حقه «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها

دينها» أخرجه أبو داود والحاكم والبيهقي كما ذكره شيخ مشايخنا الحافظ الجلال السيوطي في جامع الصغير^(١) هذا ولو تتبع شرح ابن حجر وتفحص منه العجر والبحر لم يبق له إلا فروع فقهية أو كلمات اعتراضية وليس من الإنصاف نسبة الحلويات إلى نفسه واسناد المريات على زعمه لأخيه بل لنفسه ومع هذا نرجو من الله أن لا يؤاخذ في رسمه^(٢) (مات على الفطرة) أي الإسلام (وفي رواية قال) أي البراء (قال رسول الله ﷺ لرجل) قال الطيبي هو أسيد بن حضير (يا فلان إذا أويت) أي قصدت المأوى (إلى فراشك) أي للنوم ولهذا قال أي إذا أردت أن تجعل فراشك مكان نومك (فتوضأ) أمر ندب (وضوءك) أي وضوءاً كاملاً مثل وضوئك (لصلاة) ثم اضطجع على شقك الأيمن) فإنه من السنن (ثم قل اللهم أسلمت نفسي إليك إلى قوله أرسلت. وقال: أي النبي ﷺ. فيكون من جملة كلام البراء عطف على قال. رسول الله. أو قال البراء أيضاً، عن النبي ﷺ. فيكون عطفاً على قال، لكنه موهم للوقف وإن كان مثله^(٣) ما يقال من قبل الرأي. ويؤيد الرفع أن الخطاب للصحابي، وليس للصحابي أن يخاطب بمثله بمثل قوله (فإن مت)

(١) الجامع الصغير ١١٥/١ حديث رقم ١٨٤٥.

(٢) الرسم: الصوت الخفي. ورسم الشيء طمس أثره.

(٣) في المخطوطة «مثل».

«فإن مِتَّ من ليلتك مِتَّ على الفطرة، وإن أصبحت أصبت خيراً». متفق عليه.

٢٣٨٦. (٦) وعن أنس، أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله

الذي أطعمنا، وسقانا، وكفانا، وآوانا،

بضم الميم وكسرها (من ليلتك) وفي نسخة في ليلتك^(١) (مت على الفطرة) أي على التوحيد (وإن أصبحت أصبت خيراً) أي خيراً كثيراً أو خيراً في الدارين (متفق عليه) وقال ابن حجر: في بعض طرقه عن البراء، قال: قلت: ورسولك الذي أرسلت فقال ونبيك. وإنما رد عليه لأنه إذا قال ورسولك لم يبق يفيد قوله الذي أرسلت إلا محض^(٢) التأكيد وهذا معنى قول بعضهم لأن البيان صار مكرراً من غير إفادة زيادة في المعنى وذلك مما ياباه التبليغ. اهـ. ويمكن أن يحصل له فائدة مقدرة، بأن يقال الذي أرسلته إلينا، أو أرسلته إلى الخلق كافة، مع أن التأكيد يقع في كلام البلغاء كما في قوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه﴾ [الأنعام. ٣٨] ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ [النحل - ٢٦] وأما قوله ﷺ: «ما من صباح يصبح العباد فيه»^(٣) فليس من هذا القبيل. خلافاً لما وهمه ابن حجر. والأظهر والله أعلم في وجه الرد أن الأدعية الواردة لا تغير عن ألفاظها. وكذا الأحاديث وفي معناها التصانيف. وإنما جاز نقل الحديث بالمعنى إذا اضطر إليه بنسيان لفظه. فإن ما لا يدرك كله لا يترك كله. وأما نقله بالمعنى مع حفظه لفظه فيخاف عليه أن يدخل تحت قوله ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(٤). ولذا قال بعض المحققين: ولا بد أيضاً من مراعاة القواعد النحوية ومحافظة المخارج والصفات الحرفية. وقال الطيبي: النبي فعيل بمعنى فاعل للمبالغة من النبأ بمعنى الخبر، لأنه أنبأ عن الله. ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه النبي مشتق من النبأوة وهي الشيء المرتفع ورد النبي ﷺ على البراء حين قال: ورسولك الذي أرسلت بما رد عليه ليختلف اللفظان، ويجتمع الثناء بين معنى الارتفاع والإرسال، ويكون تعديداً للنعمة في الحالين وتعظيماً للمنة على الوجهين. اهـ. وعلل النهي أيضاً بأنه كان نبياً قبل أن كان رسولاً. ثم رأيت أن النووي استحسّن قول الماوردي وغيره. سبب النهي أن الأذكار تعبدية يقتصر فيها على اللفظ الوارد بحروفه، وبه يتعلق الجزاء. ولعله أوحى إليه ﷺ. بهذه الكلمات فتعين أداؤها كما هي. اهـ. فالحمد لله على التوارد في المحافظة على الوارد ورواه الأربعة. وفي رواية وليجعلهن آخر ما يتكلم به.

٢٣٨٦. (و)عن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: الحمد لله الذي

أطعمنا وسقانا وكفانا) أي دفع عنا شر المؤذيات، أو كفى مهماتنا وقضى حاجاتنا (وآوانا) قال النووي [رحمه الله]: إذا أوى إلى فراشه، وأويت مقصور وأما آوانا فمدود هذا هو الفصيح

(١) وهي نسخة المتن. (٢) في المخطوطة «بمحض».

(٣) راجع الحديث رقم (٢٣٠٥). (٤) متفق عليه.

حديث رقم ٢٣٨٦: أخرجه مسلم في صحيحه ٢٠٨٥/٤ حديث رقم (٦٤. ٧١٥). وأبو داود في السنن

٣١٢/٣ حديث رقم ٥٠٥٣. والترمذي ١٣٦/٥ حديث رقم ٣٤٥٦.